هذه الصفحة تقدم اضاءة للقارئ العراقي من الصحافة العالمية ولاتعبر المقالات الواردة فيها بالضرورة عن رأي ( )

هل تنجح حكومة المالكي في إنجاز مهماتها؟

كاظم حبيب

((١) يقترب العراق من العام الرابع على نهاية الدكتاتورية البغيضة، كما يقترب من نهاية العام الأول على تولي السيد نوري المالكي رئاسة الوزراء. وهي أول حكومة منتخبة وضعت لنفسها برنامجاً توافقياً بين جميع القوى والأحزاب والقوائم التحالفية المشاركة في الحكومة ووفق مهمات أساسية محددة. ولكن هذه المهمات الأساسية التي أوكلت لكل المسؤولين السابقين والجدد لا تزال غير منجزة وتنتظر الانجاز، مع حقيقة أن صبر أفراد المجتمع بدأ ينفد، إذ أن الإنسان الاعتيادي لا يجد أي تغيير في أوضاعه الكارثية التي تتسبب بها قوى الإرهاب المجرمة وعوامل أخرى كثيرة.

إن غالبية الشعب العراقي لا تزال تعاني عواقب الانفلات الأمني وفوضى السياسة والعمليات الانتحارية لقوى الإرهاب التكفيرية والصدامية وعصابات الجريمة المنظمة، وأن الغالبية العظمى من أفراد المجتمع العراقي تعاني نقصاً كبيراً جداً في الخدمات العامة وكل اللاءات تنطق بها غالبية الألسنة العراقية.. لا ماء.. لا كهرباء .. لا هواتف... لا أمن.. لا استقرار أو اطمئنان ولا هم يحزنون.

وتعاني جمهرة متعاظمة من الناس بطالة خانقة تزيد من بؤس الناس وفاقتهم وكراهيتهم للوضع وعدم ثقتهم بالحكومة.

وفوق هذا وذاك تسود حالة الفساد المالي والإداري حياة الدولة والمجتمع في جميع محافظات العراق في الوسط والجنوب، مع وجود بطالة مقنعة وعالية في كردستان العراق إضافة إلى وجود الفساد المالي والإداري في هذا الإقليم أيضاً.

ويهيمن الصراع والنزاع الطائفي السياسي على الساحة السياسية العراقية ويلتهم بنيرانه المواطن الاعتيادي ويزهق أرواح الناس وأموال المجتمع ويحرمه من حياة هادئة.

نتوقف عند هذا الحد، إذ أن قائمة النواقص والمصاعب الحياتية لكل الناس تقريباً طويلة ومؤلمة.

(٢) تعهدت الإدارة الأمريكية وقواتها المسلحة أمام الأمم المتحدة والرأي العام العالمي بحماية أمن العراق من عبث قوى الإرهاب المتسللة من دول الجوار أو القوى الإرهابية العراقية الناشطة في البلاد. وتعهدت حكومة المالكي ببسط سيطرتها ونشر الأمن وتحقيق الاستقرار وإنهاء الوجود المسلح للمليشيات الطائفية وتصفية قوى الإرهاب وتأمين الخدمات وتوفير فرص عمل للناس العاطلين والراغبين في العمل ومكافحة الفساد، ولكن بشكل خاص تنشيط المصالحة الوطنية. ولكن لا الإدارة الأمريكية ولا حكومة السيد المالكي استطاعتا تحقيق ما التزمتا به، بل استمرت طاحونة الموت اليومي فاعلة على أوسع نطاق ممكن.

ومما زاد في الطين بلة تلك الأخطاء الفادحة والمتواصلة التي وقعت بها الإدارة الأمريكية والقادة العسكريون الأمريكيون في العراق، وعجز الحكومة العراقية عن إيقاف تلك الأخطاء أو التصدي لها أو تقليص الأخطاء التي وقعت بها الحكومة ذاتها. وبما أن الإدارة الأمريكية والحكومة لم تحترما الكلمة التي التزمتا بها فقد وقع ما يلي: استهانة القوى المناهضة للعملية السلمية بقرارات الإدارة الأمريكية والحكومة وعدم خشيتها منهما من جهة، وانهيار صدقيتهما أمام أنظار الغالبية العظمى لدى الشعب، خاصة أن الممارسات الطائفية العدوانية والتمييز والفساد قد تفاقمت بدلاً من تقلصها. وإذ اعترف رئيس الإدارة الأمريكية بأخطائه الفادحة وتحملها شخصياً، فان على الحكومة العراقية أن تمتلك الشجاعة الكافية للاعتراف بالأخطاء التي ارتكبتها خلال السنة المنصرمة، وخاصة في مجالات المصالحة الوطنية وحل المليشيات والفساد المالي ..الخ.

(٣) نحن الآن أمام سؤالين، الأول هو: ما المهمات التي يفترض إنجازها من قبل حكومة المالكي بعد نشر الاستراتيجية الأمريكية الجديدة؟ أما السؤال الثاني فهو: هل في مقدور الحكومة العراقية الراهنة تحقيق ما بذمتها من تعهدات أمام الشعب والعالم؟

إن المهمات المركزية التي تواجه المجتمع العراقي تقع مباشرة على عاتق الحكومة العراقية وعلى عاتق كل القوى السياسية المشاركة في الحكم. ولا يمكن أن تأخذ القوات الأمريكية ولا غيرها هذه المهمات على عاتقها، إذ أن هذا سيقود إلى الفشل أيضاً.

المهمات المركزية التي تواجه الحكومة العراقية ذات ستة أبعاد، إنها البعد السياسي، وأعني به المصالحة الوطنية التي تزداد أهميتها وضرورتها يومياً وإلغاء بعض القرارات والقوانين التي صدرت بعد سقوط النظام وتعرقل عملية المصالحة. ثم البعد الأمني الذي يستوجب ممارسة الحكومة له بمختلف أجهزتها الأمنية. والبعد العسكري، أي قيادة العمليات العسكرية ضد قوى الإرهاب وضد المليشيات الطائفية المسلحة التي ترفض نزع سلاحها وتسليمه إلى الحكومة، إضافة إلى الحوار السياسي مع دول الجوار ومواجهة تسلل الإرهابيين من بعضها إلى العراق، وخاصة من إيران وسوريا. ثم البعد الاقتصادي الذي يفترض توفير الخدمات الأساسية وتوفير فرص عمل للعاطلين عنه والراغبين فيه وتحسين مستوى معيشة السكان الكادحين. والبعد الإعلامي الداخلي والخارجي، أي العربي والإقليمي والدولي، وأخيراً البعد الإصلاحي لأجهزة الإدارة والمال ومكافحة الفساد السائد في البلاد.

(٤) المهمات ثقيلة جداً ولا يمكن تصور النجاح فيها بين ليلة وضحاها، بل ستأخذ وقتها المناسب. ولكن في قناعتي، وبرغم المجازفة في الإجابة عن هذا السؤال، أرى أن حكومة المالكي التي أدركت مجموعة من القضايا الأساسية سوف تسعى إلى ممارسة وجهة جديدة في العمل يمكنها أن تقود إلى النجاح. فهي قد أدركت ما يلي:

إن هناك حاجة ماسة إلى تشكيلة حكومية جديدة وبشخصيات أكثر انسجاماً والتزاماً وقدرة على تحقيق المهمات.

والحاجة ماسة جداً إلى ممارسة العمل الجماعي المشترك لمجلس الوزراء والمشاورات المستمرة من دون الإبطاء بتنفيذ ما يفترض تنفيذه ومتابعة تنفيذ القرارات.

وأن الوجود الأمريكي والأجنبي عموماً يفترض أن ينتهي بأسرع وقت ممكن، ومن ثم فليس هناك من وجود دائم. ومن هنا يفترض أن تسعى الحكومة العراقية إلى توفير مستلزمات النهوض بالمهمات المختلفة والتهيئة لإنهاء الوجود الأجنبي في العراق.

وأن الطائفية السياسية المهيمنة على الشارع السياسي العراقي ينبغي له أن يسقط من خلال التخلي عن ممارسة سياسة طائفية أو تمييز ديني وطائفي أو قومي، والذي يفترض أن يجد تعبيره في عمل الوزارات والوزراء والمسؤولين كافة.

وأن الحاجة ماسة إلى مشاركة الناس في دعم إجراءات الحكومة، ومن ثم فان استعادة ثقة الناس بالحكومة مسألة مركزية.

ولا يمكن مواجهة الإرهاب مع استمرار وجود المليشيات الطائفية المسلحة واختراقها أجهزة الدولة العسكرية والسياسية، ومن ثم لا بد من القيام بعملية واسعة ضد هذه المليشيات لنزع أسلحتها وتقديم المجرمين منهم للعدالة. ويفترض أن تقوم الحكومة بمنع دعم وزراء معينين وقوى سياسية مشاركة في الحكم لقوى طائفية سياسية مسلحة التي تطرح مواقف متباينة جداً عن سياسة الحكومة وتدعو إلى العنف في مواجهة قوى الحكومة أو حتى القوات الدولية المساندة للحكومة العراقية وما تزال موجودة بموافقتها. إن فشل الحكومة يمكن أن يبدأ بسبب عمل هذه المجموعات الموجودة في السلطة وتهديمها الأرضية التي تقف عليها الحكومة والسياسة التي تمارسها وعدم مواجهتها بصرامة وحزم تامين.

(٥) إن الحكومة قادرة في العام الراهن، عام ٢٠٠٧، أن تنجز العديد من المهمات المركزية، وخاصة في مجالي السلم الأهلي وتحقيق المصالحة وعزل المتزمتين الرافضين لها شعبياً ووقف الإرهاب.

إن الحكومة العراقية بحاجة إلى استراتيجية خاصة بها وإلى تكتيكات سياسية عملية وملموسة، سواء أكانت سياسية أم أمنية وعسكرية أم اقتصادية وإعلامية وإصلاحية، إذ أن الاستراتيجية الأمريكية لم تتضمن فعلياً سوى الجانب العسكري والتي تجلت في زيادة القوات العسكرية بـ ٢١٥٠٠ مقاتل وإلى زيادة الأسلحة وتحديثها. في حين أن العراق بحاجة إلى عمل سياسي وإعلامي كثيفين ودؤوبين على الصعد المحلية والإقليمية والدولية، إلى جانب العمليات الأمنية والعسكرية القتالية والنشاط الاقتصادي.

لا يجوز أن تفشل الحكومة هذه المرة، إذ أن فشلها كارثة حقيقية على المجتمع العراقي، وعلى الجميع مد يد العون لإنجاح المساعي الدافعة باتجاه المصالحة الوطنية وحل المليشيات المسلحة وعزل القوى الطائفية السياسية المصرة على نهجها الطائفي التمييزي وتلك القوى التي ترفض المصالحة ونزع أسلحتها وحل المشكلات الاقتصادية وتوفير الأجواء المناسبة لخروج سريع وهادئ للقوات الأجنبية من العراق.

إطلالة على أفكار علي شريعتي

علي حسين فرج الفكيكي

كثيرون هم الذين تحدثوا عن شريعتي تأبيناً وتحليلا: الخميني، مطهري، موسى الصدر، عبد الكريم سروش وغيرهم .ولكن وبرغم تراثه الغزير الذي تجاوز المئة والعشرين كتاباً -عربياً- ما زال شريعتي حتى الآن فكراً في دهاليز الزمن ومقبرة الرفوف ينتظر من يزيل الغبار عنه.

فالكل يسمع بالدكتور شريعتي مفكراً ومثقفاً ومصلحاً وثائراً ولكن لا احد يعرف سوى القليل من هو شريعتي. لا شك وكما يذكر د .عبد الكريم سروش في إحدى دراساته المخصصة عن الدكتور شريعتي"أننا لو عدنا إلى سيرة المرحوم شريعتي واكتشفنا بواكير انبهاراته وكشوفاته لكنا قد وضعنا اليد على مفاتيح شخصيته وأفكاره وهذه قاعدة تسري على كل العظماء الذين تركوا بصمات على المجتمع والتاريخ". شريعتي هذه الشخصية القلقة التي كانت ولا تزال تثير جدلا واسعا حول المفاهيم والأفكار التي كان يطرحها في حسينية الإرشاد في سبعينيات القرن الفائت" كان مقاتلاً شرساً صعب المراس يتحدث من دون مواراة بجرأة قل مثيلها عن أمور أقفلت بأحكام وشفرت بكلمات سرية محرمة على شريعتي ومن هم على شاكلته مصححا من خلالها المفاهيم التي كانت سائدة آنذاك، يتحدث عن الإسلام وتاريخ التشيع في مجتمع مشحون حد الإفراط مواجها آلهة السلطة والمال والتدين المزيف حتى انتفض عليه الجميع(الشاه وحوزة قم) سجن، عذب وشرد واتهم بكل شيء" سيئ. وهابي. شيوعي". وعلى الجانب الآخر وعندما تشرف بحج بيت الله الحرام منع من القاء كلمته في المؤتمر الإسلامي لأنه" شيعي متطرف". هكذا كان شريعتي يحارب على عدة جهات من دون أن يتعب، صار وحده جيشا يقاتل التغرب والتحجر العقائدي ووعاظ السلاطين وسلطة الفراعنة. عندها تضطر السلطة إلى غلق حسينية الإرشاد عام١٩٧٣وسجن لعام ونصف ثم يخرج بوساطة مسؤولي الجزائر الذين ردوا جميل وقفته الشجاعة من فرنسا في إثناء ثورة الجزائر. رحل شريعتي عن إيران عام ١٩٧٧ متجها إلى لندن وبعد شهر من أقامته هناك عثر عليه ميتاً ميتة غامضة وتعلن السلطة أنها نوبة قلبية. لم يسمح لجثمانه بأن يدفن في إيران فينقل إلى دمشق ويدفن في الحرم الزينبي. ذكر في احدى رسائله" ما أسوأ إن يموت الإنسان في بيته بسبب الإسهال مثلا، أني أتمنى الاستشهاد وادفن إلى جوار قبر تلك السيدة البطلة" وها قد تحققت. بعد هذا الاستطراد لسيرة الدكتور شريعتي لا بد من الوقوف على الشخصية الرئيسية التي صاغت هذا الإنسان "المتمرد على كل شي سوى المبدأ" ،الشخصية التي جاء بها من عمق التاريخ وعاش معها في القرن العشرين انه أبو ذر الغفاري أول شخصية تعرف عليها شريعتي في حياته الفكرية و بقيت عالقة في ذهنه حتى مات معها في المنفى.

أنجز شريعتي وبتوجيه من والده أول أعماله الأدبية وهو ترجمته كتاب(أبو ذر) لجودة السحار عام ١٩٥٥ وعندما نشر الكتاب اخذ معه روح المترجم الى الجمهور واوضح أول شخصية عشقها المرحوم شريعتي وأعطاها حبه وإخلاصه. كان يطل على الإسلام والتاريخ من شرفات أبي ذر ولم يستبدل بها شرفات أخرى على مدى حياته فذكر في احدى ندواته "أنا مضطر لتقليد غايتي المحبوبة أبي ذر الغفاري الذي أخذت عنه إسلامي وتشيعي ومبادئي وهمومي وأوجاعي وشعاراتي" ويعترض احد الحاضرين نبرته في نقد التقاليد الدينية الدارجة ومن يتبعها جارحة لاذعة وليس هذا منطق الباحثين غير المتعصبين؟ فيجيب أنا لست باحثا علميا، انما تثقل على روحي أعباء قرون طويلة من التعذيب والاستشهاد، وها قد لذت ببيت فاطمة الطيني المهجور وارى إن قوما جعلوه دكانا وبدلوا تلك القبلة التي كانت بالنسبة لي كعبة انعتاق من خمسة الآف سنة من الرق والجور والجهل وأنت تريدني ان اصطنع دراسات هادئة بطريقة لينة. ليس منطقي مثل منطق ابن سينا والغزالي والباحثين المستشرقين أنه منطق أبي ذر" هكذا كان يرى الإسلام يرى أبا ذر كتلة من الايمان والغضب والجهاد تجسيدا للدين ودينا متجسداً خلافا لابن سينا الذي كان جبلا من الإلهيات. في احدى المرات سألت زوجة الامام الخميني عن الشهيدين مطهري وشريعتي فأجاب "إن الأول يكتب بعمق والثاني يكتب بجاذبية" لقد كان المرحوم شاعرا، وفنانا، أديبا، ساحرا، يجذب القلوب بأسلوبه البسيط غير المتكلف عندئذ لا تجد خيارا إلا الإنصات بخشوع لهذا المبدع فمثلا كتابه(الحسين وارث ادم) على سبيل المثال عبارة عن سيمفونية حزينة، مقطوعات شعرية تقطر دما تحمل آهات كربلاء" أنا حزين أقيم العزاء وابكي نفسي وفي قلبي عاشوراء مجزرة الآمال وأنا المح كربلاء مصيري المظلوم اشهد اسر بقاياي وكل ما تخلف مني، أي مصير اليم هذا". غالبا ما كانت كتاباته تحمل فكرة واحدة يسهب في إيضاحها ولكنه إسهاب العاشق لعشيقته فتمر الساعات تلو الأخرى والجمهور ما زال مبهورا بهذا المثقف المؤدلج. سأله احد رفاق دربه: ما أفضل عمل قمنا به في السنوات الماضية؟ فأجاب: "لقد نجحنا بتحويل الثقافة إلى أيديولوجيا". كان مدخله لفهم الإسلام كلا من "التاريخ وعلم الاجتماع" فيذكر د. سروش "أن المرحوم شريعتي كان بالدرجة الأولى مؤرخا، والتاريخ مدخله الرئيسي الى الإسلام إضافة إلى نافذة علم الاجتماع التي من خلالها تكاثفت في ذهنه صور لابي ذر" .ويمكن ان نجمل أسلوب شريعتي بالنقاط التالية:

١ -إن الرجل ولكونه متخصصاً في علم الاجتماع الديني لابد من ان يكون هكذا واقصد اقتصاره على الأفكار القليلة المكثفة والكتابة بلغة مبسطة اقرب ما تكون إلى الشعر.

٢ - ربط الناس بالتراث عن طريق توظيفه الدقيق للحكايات والأساطير وسير الشعوب.

٣ - إطلاعه الواسع على الأفكار والفلسفات المعاصرة ومقارنتها مع الطروحات الإسلامية .

٤ - تأثره الشديد بابي ذر مما يجعله لا يقبل بأنصاف الحلول ولا يعتمد الحلول البنائية طويلة الأمد،كان منهجه كابي ذر "المنهج الثوري" وقد صدر له كتاب يحمل العنوان نفسه.

٥- كان ولا يزال الشخص الوحيد الذي استطاع أن يخترق سلطة رجل الدين ومحل عمله" المسجد"على الرغم من كونه لا يرتدي زي الدين الرسمي حتى نافس أروع وأعظم رجال الدين في زمنه وهو الشهيد مطهري.

هذه الأمور دفعت الأمة إلى التفاعل مع د. شريعتي سواء على مستوى النخب (مثقفين ورجال دين) أو على مستوى عوام الناس. ذات يوم كان في "مشهد" وكانت ليلة عاشوراء فماذا يفعل؟ وكيف يقضي ليلته العظيمة هذه؟ فكر في الذهاب إلى المجالس المعقودة للتعزية لكن إيمانه واعتقاده بعظمة الحسين وعظمة عمله منعه من سماع سيل الإهانات وتحملها "حيث تكون الكثير تضطر الخطيب احياناً إلى عرض المأساة بشكل سلبي. فكر في أن يكتب رسالة عزاء للحسين"ع"عنوانها (الحسين وارث آدم) فكان هذا الكتاب فيقول ص٦٦ "كتبت هذا النص لنفسي لأقرأه على احد ،كتبته لنفسي لأبوح بكل عقدي وعقائدي في هذا المجال الضيق".

هذا الكتاب يحكي فلسفة التاريخ ونشوء المجتمعات وعوامل التصدع التي تلاحقها منذ ادم إلى اخر الزمان استوحاها د. شريعتي من "زيارة وارث" المشهورة يقول ص١٢٤" أن مصطلح الوراثة لم يدخل في نص الزيارة بمحض المصادفة إنما هو مصطلح علمي تاريخي له أصله الفلسفي والعقائدي في الإسلام والمسمى "بالوحدة التاريخية". لهذا فالحوادث المتفرقة التي تقع في مقاطع زمانية ومكانية مختلفة إنما تسير باتجاه واحد وترتبط فيما بينها ارتباطاً منطقياً وفق قوانين العلية وتشكل كل واحدة منها حلقة في سلسلة متصلة منذ بداية التاريخ البشري "آدم" إلى نهاية نظام التناقض والنزاع في التاريخ وهذا ما يطلق عليه اسم "التسلسل المنطقي والحتمية التاريخية". هذا يعني إن شريعتي يؤمن بالحتمية التاريخية ولكن لا على أساس الصراع الجدلي الأعمى الذي يكون فيه الإنسان مجرد ألعوبة لا إرادة له ،إنما على أساس القوانين المنطقية التي تجعل الإنسان مختارا في إن يفرض أرادته على ارادة التاريخ. قال تعالى" إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ". إن هذا قد يناقض ما ذكره في كتابه(العودة إلى الذات) ص١٤١حيث" يعتبر الإنسان وليدا للتاريخ، أي إن العناصر الشخصية التي تكون الفرد في المجتمع هي صنيعة التاريخ". لنتفق "إن التاريخ ليس أكذوبة اتفق عليها الجميع" كما يدعي (نابليون)"وإن الفرد لا يتكون في فترة عمره فحسب بل في فترة تاريخية" كما يقول "شاندل" ولكن يجب إن يكون ذلك تابعا لإرادة الإنسان واختياره وليس العكس وقد صرح القران بذلك مرارا. قال تعالى في ذم الكافرين. "بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ".هذا يعني إن للأعراف والتقاليد دورها الكبير في سلوك الأفراد ولكن قد يكون التاريخ مشوهاً نتيجة الجهل والعصبية والأطماع والسلطة...الخ عندئذ يأتي دور الأنبياء والرسل والمصلحين كي يصححوا مسيرة الإنسانية. فمثلا إن حركة الحسين "ع"ليست حركة مبتورة ولم يخرج الحسين "ع"لأجل يزيد فقط لأنه منحرف شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة،بل كانت حركته "ع"امتداداً لحركة واحدة تجري في تيار الزمن وتنتقل من آن إلى آن،عبارة عن حركة رسالتها التاريخية إنقاذ الناس وتكامل الإنسان. في مقابل هذه الحركة الإسلامية تقف القوى الأخرى المحادة لله والمحاربة للناس وهي أيضاً تتوارث تاريخها الملطخ بدماء المستضعفين جيلاً بعد جيل ولهذا فالحرب قائمة دائماً وفي كل مكان بين محورين (الله وابليس)(هابيل وقابيل)(إبراهيم والنمرود)(موسى وفرعون)(يحيى وهيرودس)(عيسى وقيصر)(محمد وقريش) الخ.. والسبب من وجهة نظر شريعتي "ثلاثي التاريخ المشؤوم" (السلطة،الاقتصاد،الدين المنحرف)(الشفرة الذهب المسبحة) (فرعون قارون بلعم بن باعورا). مثلث قاعدته المال وضلعاه السلطة والتدين المنحرف ولكن لنتساءل ما منشأ هذا الصراع الأزلي ومن أين استوحى شريعتي فكرته هذه؟ يسحبنا شريعتي بعيدا إلى ما قبل التاريخ وأقبيته القديمة إلى حكاية النزاع التي يرويها القراء بين ابني ادم (قابيل وهابيل) فيتساءل ما الذي يدفع قابيل إلى قتل أخيه؟ هل يعقل من اجل الشهوة فقط ؟ (يروى إن أخت هابيل كانت جميلة فعشقها قابيل وقتل أخاه) ولكن هذا السؤال يبقى بلا جواب حتى الان لماذا يسقط قابيل فريسة الشهوة ولا يؤثر هذا العامل القوي في هابيل ويدفعه إلى الخيانة وقتل أخيه فهذان الأخوان لهما أب واحد وأم واحدة وبيئة واحدة وتربية واحدة وتجربة واحدة فمن أين جاء هذا التناقض في الخَلق؟ إذن لابد من وجود عامل غير مشترك بين هذين الأخوين المتشابهين في كل شيء. هنا يأتي دور المعلم شريعتي فيعيد قراءة التاريخ ولكن بصورة غير مألوفة صورته هو فيذكر في كتابة (العودة إلى ألذات) ص "٤٠٣ان العامل غير المشترك في سيرة هذين الأخوين هو نوع العمل ووضع الحياة الاقتصادية لكل منهما فاحدهما يرعى الغنم والآخر مزارع وهذا الاختلاف جدير بالتأمل". لقد كان هابيل راعيا أي إنسان مرحلة الحرية ،تحرر الإنسان من الأرض ،إنسان المرحلة التي لم تكن فيها الملكية قد ظهرت بعد. فالجميع يعيشون أحرارا في أحضان الطبيعة ويأكلون من مائدتها السخية وكانت موجودة بالتساوي تحت سيطرة الجميع وكان المجتمع ينقسم إلى أفراد لا إلى طبقات. إذ إن الطبقات الاقتصادية تتشكل على أساس الملكية أو احتكار مصادر الإنتاج تظهر عندما تصبح مصادر الإنتاج محدودة ،وهذا ما يحصل عندما تتحول مصادر الإنتاج من الرعي والصيد إلى الزراعة. فالأرض الزراعية محدودة ولا يمكن أن تكون تحت أفراد غير محدودين إذ في النهاية لابد من أن تكون نصيبا لأحد ويبقى الآخر بلا نصيب. ومن هنا تقوم الملكية بإيجاد طبقتين: طبقة مالكة وطبقة محرومة. ويتحول المجتمع الذي كان مجموعة من الأفراد إلى مجتمع يحوي على طبقتين والعامل الذي يحدد هذا الامتلاك أو الحرمان هو القوة. والخلاصة أن قابيل هو نموذج المجتمع الطبقي والملكية الفردية والتناقض والاشتباك الممتزج بالكراهية بين الطبقات وتقسيم المجتمع الإنساني وتحويل الاخوة البشرية إلى تشاحن اقتصادي وسحق الحقيقة في سبيل المنفعة. ومن هنا فان الغريزة الجنسية المتساوية بين هذين الأخوين تدفع قابيل فحسب إلى الجريمة بينما يبقى هابيل مصونا من هذه الآفة يحتفظ بشرفه وسلامه ومحبته. ومن هنا فان قتل هابيل الراعي على يد قابيل مالك الأرض يعني انتهاء مرحلة الشراكة والمساواة ودخول التاريخ إلى مرحلة الزراعة والملكية وتُسيطر الطبقة الثرية القوية على مصير الطبقة الفقيرة الضعيفة ويحكم النظام القابيلي على تاريخ الإنسان. وفي الحقيقة إن حفظ هذا النظام لا يتيسر كما يقول" ميكافيلي" فقط عندما يكون الإنسان ذئبا بل لابد من أن يكون ثعلبا كونه ذئبا يعتمد على السيف والمال وكونه ثعلبا يعني انه يستند الدين . (فرعون يصعد على رقاب الفقراء وقارون يفرغ جيوبهم وبلعم بن باعورا يقول اصبر يا أخي لا عليك هذا قدر مكتوب إن موعدك الجنة). الحسين وارث الراية الحمراء منذ ادم وهي تحمل مصير المعذبين في أقبية الزمن... جاء اليوم منتفضاً على يزيد رمز الكفر والسلطة والجبروت ولكن المفارقة المخجلة إن الذين خرجوا مع الحسين "ع" هم سبعون وعلى ضفة يزيد تجد الألوف. والسبب ثلاثي الشؤم سيف عبيد الله بن زياد ونقود بن سعد وفتوى شريح القاضي. خرج الحسين طالبا بثأر قابيل و إبراهيم وموسى وعيسى وعلي.. خرج الحسين وهو يمثل راية العدالة والإنسانية والحق.. خرج الحسين ليُسلم هذه الراية إلى الأجيال القادمة .ولهذا صرخ وهو في طريقه إلى الموت وتسليم الراية.. صرخ في الأجيال المتعاقبة على مر العصور (هل من ناصر ينصرني؟) وما زال ينتظر الإجابة. هذه هي حكاية الكتاب ،حكاية الضحية والجلاد ،السيد والعبد.وهذا هو أسلوب شريعتي –أسلوب الراوي العليم- الذي يكون فيه شخصية المؤلف وأسلوبه طاغية.